جامعة عين شمس

حوليات آداب عين شمس المجلد ٤٦ (عدد يوليو – سبتمبر ٢٠١٨)

http://www.aafu.journals.ekb.eg

(دورية علمية محكمة)

كلية الآداب

الغزو الفكري ومجالاته

سعيد بن أحمد الأفندي *

عضو هيئة التدريس بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الملك عبدالعزيز

المستخلص

ظل التاريخ حافل بألوان الصراع والعداء للإسلام والمسلمين من القوى الاجنبية التي سعت للسيطرة عليهم و استنزاف خيراتهم، مستخدمة في ذلك مختلف الأساليب والأشكال، وعلى رأسها الغزو الفكري الذي خرج من كونه يراد له مجرد تغيير المظهر الخارجي للمسلمين، إلى استهداف الإسلام ذاته كونه العقبة الرئيسية أمامه، من خلال افساد الأخلاق و إفساد الشعوب الإسلامية، وتحريف الإسلام وتشويهه، ولعل من أبرز هذه الوسائل التبشير التنصير الذي لم يكن الهدف الحقيقي منها نشر النصرانية إنما التشكيك في الإسلام وابعاد المسلمين عن دينهم، وكذلك الاستشراق الذي سعى إلى وصم الإسلام بالتخلف والرجعية وعدم التطور و الرجعية، وعزله عن الحياة العامة، وكذلك محاولة أسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية التي كانت تمثل وحدة المسلمين كافة، لذلك فإن ضرب هذه الوحدة وإسقاطها يحي العصبيات والنزعات العنصرية، وأخيراً وخوفاً من الصحوة الإسلامية لجأ الغرب إلى استخدام التغريب، و دفع المسلمين الى الاقتداء بالغرب في تقاليده وعاداته وتصوراته، وتفريغ القلوب والعقول من القيم و المبادئ الاسلامية، وتركها ضعيفة فارغة، وخلق شعور بالنقص في نفوس المسلمين. ويمكننا القول أن الغرب قد نجح من خلال الغزو الفكري والحضاري في أحداث أزمة جذرية عنيفة، و ثورة نفسيه فكرية في المجتمعات الإسلامية، فكان الشك والجحود لأسس حضارتنا ومعتقداتنا ولقيمنا ومفاهيمنا وتاريخنا، وبذلك تحقق للغرب غاياته وأهدافه.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠١٧.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المسلمين، سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين

وبعد:

فنظراً لخطورة الغزو الفكري الذي يحاول أن يحتوي المسلمين، ويستولي على عقولهم، ويصوغ لهم أفكارهم وخططهم في كل مجالات حياتهم، حتى ينسوا دينهم الذي يراد إزاحته تماماً من النفوس، أو على الأقل، يُراد له أن يكون فقط مجرد مظهر خارجي يتمثَّل في بعض الطقوس الدينية الشكلية، التي لا تعني شيئًا، فالمستهدف في النهاية هو الإسلام بوصفه يشكل العقبة الرئيسية أمام القوى الأجنبية التي تحاول السيطرة على المسلمين، أو استنزاف خيراتهم، من أجل ذلك كان هذا البحث الذي يكشف عن مجالاتهم وأهدافهم ، ولهذا تضمن البحث تمهيداً وثلاثة مباحث تشمل :

تمهيد : تعريف الغزو الفكري

ثم بيان أبعاد الغزو الفكري ومجالاته في ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : حركة التبشير والاستشراق .

المبحث الثاني : إسقاط الخلافة الإسلامية

المبحث الثالث : التغريب .

تمهيد : تعريف الغزو الفكري

الغزو في اللغة : يقال : غزاه غزواً : أراده وطلبه وقصده (١). وغزا العدو غزواً وغزواناً أي: سار إلى قتالهم وانتهابهم في ديارهم . ويقال: عرفت ما يغزى من هذا الكلام أي: ما يراد، وأغزاه: جهزه للغزو (٢).

ويتبين من هذا أن الغزو في اللغة يراد به : قَصْدُ الشيء وإرادته وطلبه .

والغزو عموماً : الإرغام والقهر، ويقصد به كل التيارات الفكرية الهدامة الواردة من الغرب الرأسمالي أو غيره من القوى الكبرى، سواء تمثلت في نظريات فلسفية أو اجتماعية أو اقتصادية أو تربوية أو سياسية أو دينية أو دراسات استشراقية... أو غير ذلك من نظريات تتصل بحقل الدراسات الإنسانية على وجه الخصوص.

وقد تكون بعض هذه التيارات الفكرية قد فُرضت بالفعل فرضًا من جانب المستعمر على الشعوب الإسلامية إبان فترة الاحتلال لهذه البلاد، مثل فرض المنهج العلماني الداعي إلى الفصل بين الدين والدولة، في مجال السياسة والاقتصاد وتنظيم المجتمع، وازدواجية التعليم.. وما إلى ذلك من أمور يراد لنا دون إرادتنا أن نسير في تيارها.

وقد يكون بعض هذه التيارات الفكرية قد جُلب إلى بلاد المسلمين على أيدي مسلمين تثقفوا بالثقافات الغربية، في الوقت الذي لم يكونوا فيه على دراية تامة بأمور دينهم العامة أو الخاصة، أو على أيدي غير مسلمين يهمهم بالدرجة الأولى إضعاف الإسلام وتفتيت وحدته.

وقد يكون بعض هذه التيارات الفكرية قد وجد لنفسه مرتعًا خصباً، وفرصة مواتية لدى بعض النفوس المقلدة للغرب في كل شيء من أبناء المسلمين، تحت تأثير مركَّبات النقص، وعقد التخلف التي تعاني منها، ولعل هذا الفريق هو الذي عناه المرحوم مالك بن نبي – المفكر الإسلامي الجزائري – حينما تحدث في بعض كتاباته عن أولئك الذين ما زالت لديهم القابلية للاستعمار.

ولا يجوز إغفال الدور الذي تقوم به بعض وسائل الإعلام في العالم الإسلامي في نقل الكثير من هذه التيارات الفكرية الهدامة، سواء أكان ذلك عن علم ودراية، أم عن جهل وغفلة، وسواء أكان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر. فإن ما تنقله وسائل الإعلام هذه، مسموعة كانت أو مرئية أو مقروءة، يعمل عمله في صياغة أفكار الشباب والأطفال على وجه الخصوص؛ بل وفي صياغة أفكار الكهول أيضاً، وينعكس أثره سلبياً على سلوكهم وتوجهاتهم (٣) .

ولقد اقترنت الهجمة الصليبية على العالم الإسلامي بتخطيط لغزو فكري يستهدف إيمان الأمة وإسلامها، فبعد أن فشل الغرب في الغزو العسكري، وجدوا أن من الضروري أن يتحولوا من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، ثم ظهرت وثيقة تكشف عن هذا التحول، وهذه الوثيقة تتضمن وصية " لويس التاسع " ملك فرنسا، وقائد الحملة الصليبية الثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة، ووقوعه في أسر المصريين بالمنصورة، ولم يفكوا أسره إلا بعد أن افتدى نفسه بفدية عظيمة، فأيقن لويس بعد أن عاد إلى بلاده أنه لا سبيل للنصر على المسلمين عن طريق القوة الحربية؛ لأن الإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد، وبذل النفس في سبيل الله لحماية دينهم وديارهم، وصون حرماتهم وأعراضهم... وهم قادرون للانطلاق من عقيدتهم إلى الجهاد ودحر الغزاة، وأشار إلى أنه لا بد من سبيل آخر، وهو تطوير التفكير الإسلامي، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري، بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الثقافة الإسلامية، ليأخذوا منها السلاح الجديد الذي يغزون به العالم الإسلامي (٤).

وقد أخذ الغربيون فعلًا بهذا الاتجاه، وساروا في طريق تنفيذ وصية الملك لويس، وحوَّلوا المعركة من ميدان السلاح إلى ميدان العقيدة والفكر، مستهدفين النيل من الإسلام، وتشكيك المسلمين في دينهم، وتحريف عقائده ومبادئه، وتفتيت وحدتهم، وإخضاعهم لسيطرتهم، والقضاء على مقوماتهم وذاتيتهم. وستتضح لنا أبعاد الغزو الفكري ومغزاه وأهدافه بمعالجتها في المباحث الثلاثة التالية :

المبحث الأول : حركة التبشير والاستشراق.

المبحث الثاني : إسقاط الخلافة الإسلامية.

المبحث الثالث : التغريب.

المبحث الأول :حركة التبشير والاستشراق (٥)

لقد أدرك الغربيون أنهم لن يستطيعوا أن ينالوا من المسلمين ما داموا متمسكين بدينهم وقيمه ومبادئه، ورأوا أن السبيل إلى الثأر من المسلمين إنما هو تحريف الإسلام، وتقويض عقائده، وتشكيك أتباعه فيه، ومحاربته باعتباره أقوى رابطة تربط بين الشعوب الإسلامية، وتوحد مشاعرهم وأهدافهم، ومن ثم فقد استعانوا لتحقيق ذلك بكل الأساليب المختلفة، ومنها: أنهم شجعوا حركة التبشير والاستشراق، فقام المبشرون بالدعوة إلى الدين المسيحي بين المسلمين بهدف نشره بينهم، وتحويلهم عن دينهم. وقام المستشرقون الذين تخصصوا في الدراسات الإسلامية بالعمل على تشويه الإسلام وتحريفه، مستهدفين تشكيك المسلمين فيه، وإبعادهم عنه. وقد وجد المبشرون والمستشرقون تشجيعًا من حكوماتهم وشعوبهم، فهيأوا لهم السبل، ووفروا لهم الإمكانيات التي تساعدهم في تحقيق مهمتهم. وفيما يلي أتحدث عن كل من حركة التبشير والاستشراق:

أولاً :التبشير

لقد بدأت حركة التبشير مبكرة، حيث أيقن أعداء الإسلام في الغرب ما في قلوب المسلمين، فكانت بداية التبشير أنه لا سبيل إليه وعقيدته حية مع نهاية الحروب الصليبية، وفشلها في مهمتها، وأخذت حملات التبشير من كل النحل والملل تترى على العالم الإسلامي، تساندها الحكومات الغربية، والجمعيات الدينية..

وكان المبشرون على اختلاف مللهم ونحلهم يكنون في ضمائرهم وقلوبهم حقداً دفيناً، وعداوة شديدة للإسلام والمسلمين، وهذه العداوة ترجع إلى فشلهم في الحروب الصليبية، وقد بدا هذا الحقد واضحاً في كثير من كتاباتهم، ومن ذلك أن أحدهم كان يودُّ لوْ يمحى الإسلام من العالم (٦).

وقد قال " وليم جيفورد ": " متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل حضارتنا التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه " (٧).

– لقد وجد المبشرون أن الإسلام يقف عقبة في وجوههم أينما حلوا، ولذا فإنه هو المقصود الأول من جهودهم التبشيرية، وكان التبشير يهدف إلى تنصير المسلمين، ونشر النصرانية في العالم الإسلامي، لكن المبشرين يعترفون بأنهم قد خابوا في تحقيق ذلك، مما جعلهم يقتصرون على تشويه الإسلام، وتحريفه، وزعزعة عقيدته في نفوس أتباعه، حتى يمهد ذلك لإخضاعهم لسيطرة الغرب.

ولهذا ذكر بعض الباحثين، أن قلة من المبشرين كانوا مخلصين لدينهم، والعمل على نشره حبًا فيه، واعتقاداً منهم بأنهم يقومون بعمل سامٍ، وأن الكثرة المطلقة منهم لا توجد لديهم صلة بين أهدافهم الحقيقية وبين الدين الذين يزعمون أنهم جاؤوا لنشره ، واستدلوا على ذلك بأن أمريكا التي تعبد الحديد والذهب والبترول، قد غطت نصف الأرض بمبشرين يزعمون أنهم يدعون إلى حياة روحية، وسلام ديني، وأن فرنسا،وهي دولة

علمانية في بلادها، تحمي رجال الدين في الخارج، وأن إيطاليا التي ناصبت الكنيسة العداء، وحجزت البابا في الفاتيكان، كانت تبني سياستها الاستعمارية على جهود الرهبان والمبشرين، وأن الرجال العسكريين من الإنجليز خاصة كثيراً ما كانوا يحضون حكوماتهم على بث المبشرين في العالم، وأن المؤلفين الأجانب لا ينكرون أن الكثيرين من المبشرين قد اتخذوا التبشير آلة للتجارة والسياسة، وأن المبشر الأمريكي خاصة لا يستطيع أن يتحرر من نفوذ حكومته وغايتها وأهدافها الاستعمارية (٨).

وعلى هذا، فالهدف الرئيس من التبشير هو نشر النصرانية بين المسلمين، وتشكيك المسلمين في عقيدتهم، تمهيدًا للاستعمار وتوطيدًا له، ولما وجد المبشرون أن عملية تنصير المسلمين صعبة، اقتصروا على تشكيكهم في دينهم، حتى يخرجوهم عنه.. وعلى كل فإننا سنعالج فيما يلي أساليب التبشير ثم أهدافه:

(1) أساليب التبشير:

١) افتتاح مدارس في أرجاء العالم الإسلامي، بما في ذلك الآستانة عاصمة الخلافة الإسلامية، وذلك لأن المدارس – كما يقول المبشر هنري جيست – شرط أساسي لنجاح التبشير، وهي واسطة، لا غاية في نفسها (٩)؛ وذلك لأن هذه المدارس التبشيرية تحاول كما يقول أحد المبشرين أن تنقل الطلاب إلى جوها الخاص، وتهيء لهم جواً مسيحياً، وتحملهم فيه على ممارسة التقوى المسيحية، والسلوك المسيحي. وهكذا ينشأ الطالب، وتنشأ معه فلسفة مسيحية للحياة (١٠).

والواقع أن هذه المدارس قد باشرت التأثير على الطلاب من أبناء المسلمين، وكانت لها نتائج إيجابية، وإن كانت محدودة، لكنها نجحت إلى حد كبير في بذر بذور الشك أو الانحراف في نفوس كثير من الطلاب.

٢) تشجيع البعثات العلمية من أبناء الدول الإسلامية إلى الدول المسيحية الغربية، وكانت حكومات هذه الدول تفتح الباب أمام المبعوثين، وتضع الإمكانيات التي تساعد المبشرين على تحقيق أهدافهم مع هؤلاء الطلاب، وقد قيل: " إن تحت سلطة التبشير والمبشرين أكثر من خمسمائة جامعة وكلية ومعهد، وأن عدد الذين يشرف عليهم المبشرون في توجيههم وتعليمهم من أبناء المسلمين أكثر من ٥,١٩٠,٦٠٠ حسب إحصائهم الرسمي وتقاريرهم الخاصة ". (١١)

ولا شك أن لهؤلاء المبشرين أثراً كبيراً في عقلية المبعوثين الذين يتتلمذون على أيديهم، وكثير من هؤلاء يعودون إلى بلادهم وقد تغيرت أفكارهم ونظرتهم إلى القيم والعادات والتقاليد، وقد يثورون على تقاليدهم، ويتنكرون لكثير من مبادئ دينهم وقيمهم، وذلك لانبهارهم بالحضارة الغربية.

٣) الإرساليات التبشيرية التي تقدم خدماتها في البلاد الإسلامية. وقد قيل: " إن إرساليات التبشير الإنجليزية والإيرلندية تنفق في السنة ٢,١٠٠,٠٠٠ جنيه في سبيل التبشير ومكافحة الإسلام، وأن جمعيات التبشير الأمريكية والكندية تنفق ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه لنفس الغرض ". (١٢)

وهذه النفقات تقدمها الإرساليات في صورة خدمات، كإقامة المستشفيات والملاجيء، وتأسيس الصيدليات، وإنشاء المدارس، وقد قيل: " إن الإرساليات التبشيرية أقامت في بضع سنوات خمسمائة وخمسين مستشفى للرجال والنساء، وأسست ١٠٢٤ صيدلية لتوزيع الأدوية بالمجان، وتوزيع الصلبان والأناجيل معها للمسلمين فقط... ولهذه الإرساليات ١١١ مجلسًا طبيًا، و ٩٣ جمعية للممرضات، و ٢٦٥ ملجأ للأيتام، و ١٢٠

ملجأ للبرص، ومثلها للصم والبكم، و ١٥٠ مدرسة للعميان، و ١١٣ مستوصفًا لمدمني الأفيون، و ٨٥ ملجأ للأرامل"(١٣).

ولا شك أن هذه الخدمات الإنسانية التي تقدمها الإرساليات؛ خدمات هادفة، ولها تأثير في عقليات السذج والمحتاجين من المسلمين...

٤) إنشاء جمعيات للتبشير، حيث أسست أول جمعية للتبشير في العالم الإسلامي، وهي جمعية " لندن التبشيرية " سنة ١٧٩٥ م، ثم تأسست جمعيات على شاكلتها في نيويورك وألمانيا والدنمارك وهولندا والسويد وسويسرا.. وغيرها من البلاد الغربية (١٤).

وهذه الجمعيات تصدر المجلات والصحف والنشرات التي تخدم التبشير.

٥) عقد المؤتمرات التي يتابع فيها رؤساء التبشير نتائج الجهود التبشيرية، ويقدمون فيها النصائح والتوجيهات، ففي مؤتمر القاهرة الذي عقد سنة ١٩٠٦ م في منزل الزعيم أحمد عرابي، أشار القسيس " زويمر " رئيس المؤتمر إلى صلابة عقيدة المسلمين، وهو ما يقتضي الاشتداد في حربها، وقال في ذلك: " لم يسبق وجود عقيدة دينية مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي، الذي اقتحم قارتي آسيا وأفريقيا، وبث في مئتي مليون من البشر عقائدهم وشرائعهم وتقاليدهم، وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية " (١٥).

ثم قدم هذا القسيس بعض النصائح، ومنها:

أ – يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسو أعداء لهم.

ب – تبشير المسلمين يجب أن يكون بواسطة رسول من أنفسهم، ومن بين صفوفهم؛ لأن الشجرة يجب أن يقطعها أحد أعضائها.

جـ – ينبغي للمبشرين ألا يقنطوا إذا رأوا نتيجة تبشيرهم للمسلمين ضعيفة؛ لأن المسلمين قد نما في قلوبهم الميل الشديد إلى علوم الأوروبيين(١٦).

وفي مؤتمر " لكنو " المنعقد في الهند سنة ١٩١١ م، كان من بين قراراته ما يلي:

أ) من الضروري العاجل، تأسيس مدرسة في مصر خاصة بالتبشير.

ب) دخول النساء في أعمال التبشير، لتنصير النساء المسلمات وأولادهن(١٧).

وبهذا يتضح لنا أن التبشير كانت له آثار خطيرة في تاريخ الإسلام، وحياة المسلمين، حيث مهد في البداية للاستعمار، ثم سانده وهيأ كثيراً من الشعوب الإسلامية لتقبله، والخضوع له، وذلك لأنه أفسد كثيراً من المسلمين، وجعلهم يتحللون من قيم الإسلام وأخلاقه، وهذا الهدف يعتبر هدفًا رئيساً للتبشير، بجانب الهدف الآخرالذي يتمثل في الدعوة للدين المسيحي، وتنصير المسلمين، وإذا كان التبشير قد أخفق إلى حد كبير في تنصير المسلمين، حيث لم يستطع أن ينصر من المسلمين إلا عددًا محدودًا؛ فإنه نجح نجاحاً كبيراً في إفساد الشعوب الإسلامية، وخلق طوائف مستهترة بالقيم الدينية والخلقية، لا تبالي باستقلال أوطانها، ولا تعرف معنى الحرية والكرامة، ومثل هذه الطوائف ترحب بالمستعمر؛ بل وتتعاون معه، وتتهافت على فتات موائده(١٨).

وعلى هذا فلا يجوز لأحد أن يقلل من شأن المبشرين وخطرهم على الإسلام والمسلمين، ويزعم أنهم لم ينجحوا في تنصير المسلمين، وذلك أنهم إذا لم يكونوا قد نجحوا في هذا المجال، فإنهم قد نجحوا في إفساد الأخلاق، وخلق نزعة من اللامبالاة بالقيم الدينية والخلقية بين كثير من الشعوب الإسلامية، وهذه هي الغاية الأساسية في نظر المبشرين، حيث وضح ذلك القسيس " زويمر " في خطابه الذي ألقاه في أحد المؤتمرات، وقال فيه مخاطباً زملاءه أعضاء المؤتمر: " لقد أديتم الرسالة التي نيطت بكم أحسن الأداء... وإن كان يخيل إلي أنه مع إتمام العمل على أكمل الوجوه لم يفطن بعضكم إلى

الغاية الأساسية منه.. إني أقركم بأن الذين دخلوا من المسلمين في حظيرة المسيحية لم يكونوا مسلمين حقيقيين، لقد كانوا كما قلتم أحد ثلاثة: إما صغير لم يكن له من أهله من يعرّفه ما هو الإسلام، أو رجل مستخف بالأديان، لا يبغي غير الحصول على قوته، وقد اشتد به الفقر، وعزت عليه لقمة العيش، وآخر يبغي الوصول إلى غاية من الغايات الشخصية... ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام؛ ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله.. وبالتالي لا صلة له بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به في الأعوام السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه، وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعاً من أجله كل التهنئة. لقد قبضنا أيها الإخوان في هذه الحقبة من الدهر من ثلث القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية المستقلة، أو التي تخضع للنفوذ المسيحي، أو التي يحكمها المسيحيون حكماً مباشراً، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير المسيحي والكنائس والجمعيات، وفي المدارس الكثيرة التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية، وفي مراكز كثيرة، ولدى شخصيات لا تجوز الإشارة إليها... إنكم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل التمهيد. إنكم أعددتم نشأً لا يعرف الصلة بالله، ولا يريد أن يعرفها، وخرَّجتم المسلم من الإسلام، ولم تدخلوه في المسيحية، وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقاً لما أراده الاستعمار، لا يهتم بالعظائم، ويحب الراحة والكسل، فإذا تعلم فللشهوات، وإذا جمع فللشهوات، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بكل شيء". (١٩)

وأشار تقرير " مجلس كنائس الشرق الأوسط " عن الحركات الإنجيلية الغربية الجديدة، ونشاطها تجاه العالم العربي والإسلامي، بأن حركة المرسلين في القرن التاسع عشر جعلت المسيحية، والتبشير بالإنجيل والحضارة، مرادفاً للحضارة الأوربية الأمريكية. وكان من أهم ما تروج له هذه الحركة أن (دولة إسرائيل) قامت تحقيقاً لنبوءة توراتية، وأن هناك أعضاء في هذه الحركة مكرسين لتأييد (إسرائيل)، ومصلحة دولة (إسرائيل) فوق مصلحة المسيحيين أنفسهم.

ثم يشير التقرير إلى مؤتمر القيادة المسيحية الصهيونية الذي عقد بين ٢٧ – ٢٩ أغسطس عام ١٩٨٥م، حيث نظمت السفارة المسيحية الدولية في القدس مؤتمراً في (بال) في سويسرا، وجمعت له نحو ٥٠٠ مشترك، وسمي المؤتمر: مؤتمر القيادة المسيحية – الصهيونية الدولية.

وقد صرح المؤتمرون علناً بأنهم اختاروا مدينة بال؛ ليعيدوا في المدينة نفسها ذكرى المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد ١٨٩٦م برئاسة تيودور هرتزل.

وكذلك يشير التقرير إلى هيئة بالغة الخطورة اسمها (السفارة المسيحية الدولية في القدس)، وقد تأسست في شهر سبتمبر ١٩٨٠م، كنوع من الرد المعارض على سحب ١٣ دولة سفاراتها من القدس، وأن هذه السفارة تتلقى أموالاً عديدة من هيئات ومصادر كثيرة مسيحية – صهيونية – وبعض دول إفريقيا الجنوبية، والولايات المتحدة، وأوربا، ومساعدات مالية ضخمة من الكيان الصهيوني، ولهذه السفارة (٢٠) قنصلية في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها، ولها نشاط حيوي هام في أكثر من (٣٠) بلداً في أوروبا، وأمريكا الشمالية، وآسيا، واستراليا، وتعمل هذه السفارة جميع أنواع الدعاية للكيان الصهيوني في الصحافة، والإذاعات، وأشرطة الخيالة، والأشرطة، والاجتماعات،

والندوات، وتجمع هذه السفارة أموالاً – من عائد هذه الدعاية – لإرسالها إلى اليهود في فلسطين المحتلة، تحت برنامج حفلات تسمى: (برنامج أحبوا إسرائيل).

كما أن السفارة تحث الناس على شراء منتجات (إسرائيلية)، وتبيع سندات (إسرائيلية) للكنائس الأمريكية، وتتبرع بالدم للقوات الصهيونية المسلحة، ويشير التقرير إلى أن نصارى السفارة حينما يفعلون هذه الأعمال وغيرها نيابة عن إسرائيل فإنما ينفذون إرادة الله.

ولكن الغريب أن أعضاء السفارة الدولية في القدس يعلنون أنهم يحاربون (الشيطان والإسلام)، باعتبار أن الشيطان والإسلام في نظرهم سواء، وفي هذا يذكر التقرير أن قنصلية السفارة في (بتسبورغ) أصدرت كتيباً جاء فيه: (صلوا ضد روح الإسلام... ومن سخريات الله الكبرى(؟؟) أن يقوم مسجد إسلامي على أقدس موقع، جبل موريه – المسجد الأقصى في القدس – وإن هذا لعار على موقع الهيكل المقدس) (٢٠).

ويكشف التقرير عن مؤسسة (جبل الهيكل) ويصفها بأنها فظيعة السمعة، وهي مؤسسة لها علاقات كبيرة بالكيان الصهيوني، وهناك عدد من الهيئات المساندة لها في الولايات المتحدة، وقد تبرعت هذه المؤسسة بأموال صندوق هيئة الدفاع القضائية عن الإرهابيين المتعصبين اليهود في (إسرائيل)، لكن جهود هذه المؤسسة منصبة على بناء (الهيكل الثالث)، هذا يفترض أولاً إزالة مجمع مساجد الحرم الشريف في القدس، كما أن هذه المؤسسة تبعث بأموال كثيرة إلى الأكاديمية اليهودية (بشيفات اتيريت كوهانييم)، وهي أكاديمية تزود كبار الكهنة اليهود بملابس الطقوس التي يفترض أن يرتدوها في الهيكل الثالث.

ومن مكر اليهود وخدعهم وخبثهم أن (صموئيل زويمر) رأس المبشرين، والذي قاد معارك التبشير طوال ستين عاماً انتهت بهلاكه سنة ١٩٥٢م، وقد كشف عن يهوديته الدفينة الراسخة في أعماق نفسه، وذلك بأن طلب حاخاماً يلقنه في ساعاته الأخيرة أثناء احتضاره... وقد صرح راهب لأحد معارفه أن الكنيسة تحتفظ بهذا السر المذهل، ولا تبوح به، حتى لا تنكشف حيل اليهود الذين يتظاهرون باعتناق النصرانية، وحتى لا يظهر إخفاق جمعيات التبشير الذي تبذل الملايين عبثاً، وتنخدع بمكر اليهود وخططهم الخبيثة لبث الفتن والبغضاء بين الإسلام والمسيحية (٢١). وهذا يعني أن التبشير صليبي ويهودي في نفس الوقت.

(٢)أهداف التنصير:

إن أهداف التنصير كما جاءت على لسان المبشرين أنفسهم – كالقس زويمر – وكما جاء في تقرير مجلس (كنائس الشرق الأوسط)، وكما أثبته الكتاب والمؤرخون والباحثون، تتلخص في أمور ثلاثة هي:

١- صرف المسلمين عن دينهم.

يقول الأب (زويمر- ت ١٩٥٢م) في مؤتمر القدس التنصيري عام ١٩٣٥م، حيث كان عدد من المنصرين قد شكا من الفشل الذريع في تنصير المسلمين على الرغم من كل الجهود المبذولة في ذلك، فرد عليهم زويمر مبيناً أن الهدف ليس تنصير المسلمين، وإنما هو صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام، وإن المنصرين نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً، بفضل المدارس التنصيرية، ومناهج التعليم التي وضعها المنصرون للبلاد الإسلامية (٢٢).

٢- تحقيق مصالح الاستعمار والدول الاستعمارية في السيطرة على البلاد الإسلامية.

٣- نشر القيم والثقافة والأفكار الغربية بين صفوف المسلمين.

ثانياً : نشأة الاستشراق

1 - الاستشراق حركة قديمة تهدف إلى النيل من الإسلام والمسلمين، وتمهد للاستعمار وتسانده، ويرجع ظهوره إلى فشل الغربيين في الحروب الصليبية، فقد ظهر في أعقابها كنافذة ينفّس فيها أولئك الموتورون عن حقدهم الدفين، وكراهيتهم الشديدة للإسلام والمسلمين، لقد اتخذ الغربيون من الاستشراق سلاحًا يعملون به على ضرب المسلمين، وتفتيت وحدتهم، والنيل من الإسلام، وإبعاد أتباعه عنه، وبذلك يسهل فرض السيطرة الغربية عليهم أو استعمارهم. فهو إذن يمهد للاستعمار ويسانده، شأنه في ذلك شأن التبشير،وقد تعاون الثلاثة (الاستعمار والتبشير والاستشراق) - في التسلط على المسلمين وإضعافهم، وتقويض حياتهم المعاصرة في العقيدة والفكر والأخلاق.

وعلى أي حال فقد " بدأ الاستشراق في الأندلس أو أسبانيا في القرن السابع الهجري، حين اشتدت حملة الصليبيين الأسبان على المسلمين، فدعا " ألفونس " ملك قشتالة " ميشيل سكوت " ليقوم بالبحث في علوم المسلمين وحضارتهم، فجمع سكوت طائفة من الرهبان في بعض الأديرة بالقرب من مدينة " طليطلة "، وشرعوا يترجمون بعض الكتب من اللغة العربية إلى لغة الفرنجة، ثم قدمها " سكوت " لملك صقلية الذي أمر باستنساخ نسخ منها، وبعث بها هدية إلى جامعة باريس.

وكذلك قام رئيس أساقفة طليطلة " ريمون لول " بنشاط كبير في الترجمة، ومع الزمن توسع الأوروبيون في النقل والترجمة من مختلف الفنون والعلوم، وبعد اختراع الطباعة أنشئت في أوروبا مطابع عربية لطبع عدد من الكتب التي كانت تدرس في المدارس والجامعات الأوروبية "(٢٣).

وقد شجعت الحكومات الغربية المستشرقين، وأغدقت عليهم، ووفرت لهم الإمكانيات اللازمة، ومن ثم فإنهم أقبلوا على عملهم بهمة ونشاط، ودرسوا الثقافة الإسلامية بشتى فروعها ومجالاتها دراسة متخصصة وعميقة.

وقد برز في هذ الميدان كثير من أعلام المستشرقين، نذكر منهم (جوستاف لوبون، كارادي فو، بروكلمان، مرجليوث، جولد تسيهر، هاملتون جب، آرنولد توينبي، ماسينيون، تولستوي، رينان، نيكلسون، زويمر) (٢٤). هذه بعض أسماء أعلامهم، وهناك غيرهم كثير، ولا نستطيع أن ننكر فضلهم في إحياء التراث الإسلامي، والتنقيب عن المخطوطات والقيام بتحقيقها.

وإذا كنا نعترف بأن طائفة من المستشرقين اتسموا بالاعتدال والإنصاف والنزاهة حتى انتهى البحث الحر النزيه ببعضهم إلى الإيمان والإسلام، فإننا نقرر أن السمة الغالبة على تفكير معظمهم هي تشويه الحقائق، والطعن في الإسلام، والتهوين من شأن المسلمين، والطعن في الحضارة الإسلامية عامة، وغالبًا ما يصدر هذا عن روح التعصب وسوء النية، وهم في هذا يتفاوتون.

معنى هذا أنه يوجد من المستشرقين منصفون مخلصون، وهم قلة، ومنهم جائرون موتورون أو مأجورون، وهم كثرة، وهذا ما قرره المرحوم الأستاذ عباس العقاد، الذي اطلع على كثير من مؤلفاتهم، وغاص في أعماقها في قوله: " كل ما اطلعنا عليه من مؤلفات المستشرقين في العصر الحاضر يدل على أن المخلصين منهم فريقان: طلاب المعرفة، وطلاب العقيدة. وقد تجمعهما فئة واحدة يقال عنهم:إنهم طلاب الحقيقة في عالم العلم... وليس بهؤلاء خفاء فيما يكتبون، لأنه ينم على مقاصد أصحابه، بعد مراجعة يسيرة، ومنهم من عرفوا بالأمانة العلمية فيما كتبوه عن سائر المطالب العلمية غير الإسلام.

وفيما عدا طلاب العلم، يندر الإخلاص في مؤلفات القوم حيثما عرضوا للمسلمين، أو عرضوا لما اعتقدوه أو تعودوه، ولكنهم في قلة الإخلاص، أو سوء النية أنواع ودرجات " (٢٥).

2 - أهداف الاستشراق:

توجد أهداف كثيرة، أهمها ما يلي:

١ – العمل على تشويه الإسلام وحجب محاسنه عن الشعوب المسيحية، للحيلولة بينهم وبين الدخول فيه، وذلك لأن المحاربين العائدين من الحروب الصليبية إلى أوروبا كانوا يحملون صورة مشرقة لسماحة الإسلام؛ فقد رأوا صفات الشهامة والنبل والفروسية يتحلى بها أعداؤهم الشرقيون، ولمسوا عظمة القيم والمبادئ الإسلامية، وأدركوا أن دينهم ليس على ما يصوره المغرضون من التحريف والانحطاط. وهذا قد يشجع البعض على اعتناقه، ولذا فقد سارع المستشرقون إلى تزييف مفاهيمه ومبادئه حتى يسدوا الباب في وجه الإسلام، وقد استغلوا كراهية الأوروبيين لهذا الدين بعد التوسع العثماني في أوروبا وما صحبه من تعصب وحروب استمرت عدة قرون(٢٦) .

فأخذوا يعملون على تعميق الكراهية والأحقاد في نفوس شعوبهم، وتغذيتها بالشبهات والأباطيل، مستهدفين حجب الإسلام عن أوروبا، والحيلولة دون نفاذه إليها.

٢ – التمهيد لغزو واستعمار البلاد الإسلامية، ومساندته وتأييده، ولذا فإنه حاول تفتيت الوحدة الإسلامية، وتحطيم المقاومة الإسلامية، وذلك بتأويل الجهاد، وتثبيط همة المسلمين، وصرف أنظارهم إلى الدعة والقعود عن الجهاد في سبيل الله ومدافعة الغزاة.

٣– إضعاف ثقة المسلمين بتراثهم، وبث روح الشك في كل ما بين أيديهم من قيم وعقيدة ومثل عليا، وفصلهم عن جذورهم الثابتة الأصيلة بتشويه تلك الأصول، وهدم المقومات الأساسية للكيان الفردي والاجتماعي والنفسي والعقلي للمسلمين، ومن شأن هذا أن يفتح الباب للاستسلام أمام الاستعمار وثقافته وفكره، والتأثير في نفوس المسلمين وزحزحة عقائدهم، مما يفتح للتبشير المسيحي طريقًا إلى تحويل بعض ضعاف العقيدة إلى ملاحدة وأتباع(٢٧) .

٤ – التعرف على مقومات الشخصية الإسلامية وعلى طبيعتها ومزاجها النفسي من خلال التأمل في تراث المسلمين وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم؛ لأن ذلك يساعد الاستعمار على رسم السياسة التي تتفق مع طبيعة المسلمين ومزاجهم النفسي، ويسهل عليه حكم الشعوب، ومعرفة السبيل إلى التأثير عليها.

٥ – إضعاف روح الإخاء الإسلامي بين المسلمين في مختلف أقطارهم، عن طريق إحياء القوميات التي كانت لهم قبل الإسلام، وأظهرت الخلافات والنعرات الجاهلية بين شعوبهم (٢٨).

ومن هذا يتضح أن عمل الاستشراق لا ينفصل عن التبشير، وكلاهما يعمل في خدمة الاستعمار، ويهدف إلى النيل من الإسلام، والطعن فيه وتشويهه، وبذر بذور الشك في المسلمين، والعمل على تفتيت وحدتهم، والقضاء على مقوماتهم الذاتية، ونشر الكراهية بين المسلمين.

3 -أساليب الاستشراق:

لقد مارس المستشرقون نشاطهم من خلال منافذ كثيرة، أهمها:

١ – العمل في الكليات والجامعات الإسلامية والمجامع العلمية، والتدريس للبعثات العلمية التي كانت ترسلها الدول الإسلامية للدراسة في الجامعات الأوروبية، والمؤسسات التي أنشأتها الدول الاستعمارية في البلاد الإسلامية لخدمة الاستعمار والتبشير. من هذه

المؤسسات: المعهد الشرقي بدير الدومينيكان، والمعهد الفرنسي، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، ومنها الجامعة اليسوعية، والجامعة الأمريكية ببيروت، إلى آخر الأقطار الإسلامية.

٢ – تأليف الكتب والبحوث وتحقيق المخطوطات، ونشر الموسوعات، مثل دوائرالمعارف والقواميس، وإصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام وبلاده وشعوبه، وأخطر هذه المجلات مجلة " العالم الإسلامي " التي أنشأها " صمويل زويمر " سنة ١٩١١ م (٢٩).

وقد ملأ المستشرقون كتبهم وبحوثهم بالشبهات والأباطيل، وتحريف عقائد الإسلام ومبادئه وحقائقه وقيمه وتاريخه وشريعته وسيرة رسوله صلى الله عليه وسلم.

ولقد قام أساس الاستشراق على أن الإسلام من صنع محمد، وعلى أنه دين بشري، وعلى أن الرسول لفق فيه من المسيحية واليهودية، وأنه حرَّف في نقله تعاليم هاتين الديانتين.. إما لأنه لم يستطع فهمها – كما يذكرون – وإما لأن نفسه لم ترتفع إلى مستوى عيسى حتى يتصوره على حقيقته، ولذلك أنكر محمد على عيسى أنه ابن الله، وبالتالي أنكر التثليث، وتشبث بالتوحيد وببشرية الرسول(٣٠).

وإذا كان هذا هو أساس الاستشراق؛ فإن كتابات المستشرقين دارت حوله قربًا وبعدًا، تبعًا لما يسيطر على صاحبها من روح الحقد الجامح، أو الأمانة العلمية، وأشد المستشرقين تعصبًا ضد الإسلام ورسوله هم – كما يرى الدكتور حسين مؤنس – الفرنسيون، ذلك أنه من النادر أن تقرأ لمستشرق فرنسي شيئًا طيبًا عن حياة الرسول؛ لأنه حتى لو وجد شيئًا طيبًا، فإن لسانه لا يطيعه في كتابته(٣١). يقول " كيموان " المستشرق الفرنسي الحاقد : " إن الديانة المحمدية جذام تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكًا ذريعًا؛ بل هي مرض مريع، وشلل عام، وجنون ذهولي يبعث الإنسان على الخمول والكسل، ولا يوقظه منهما إلا ليسفك الدماء، وما قبر محمد إلا عمود كهربائي يبعث الجنون في رؤوس المسلمين، ويلجئهم إلى الإتيان بمظاهر الصرع العامة، والذهول العقلي، وتكرار لفظة " الله " إلى ما لا نهاية"(٣٢).

وهكذا فإن الحقد الجامح يدفع هذا المستشرق إلى قلب الحقائق، فلا يرى في الإسلام وتقاليده أي معنى من المعاني النبيلة، ويدفعه أيضًا إلى التطاول والبذاءة وتشويه المثل والقيم والفضائل.

وما ذلك الحقد والسخط والكراهية إلا نتيجة للروح الصليبية، وإلى هذا يشير المستشرق النمساوي " ليوبولد فايس " صاحب كتاب " الإسلام على مفترق الطرق " فيقول:" الشر الذي بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح، ولكنه كان قبل كل شيء، وفي مقدمة كل شيء، شرًا ثقافيًا، لقد نشأ تسميم العقل الأوروبي عما شوهه قادة الأوروبيين من تعاليم الإسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة في الغرب، وفي ذلك الحين استقرت تلك الفكرة المضحكة في عقول الأوروبيين من أن الإسلام دين شهوانية وعنف حيواني، وأنه تمسك بفروق شكلية، وليس تزكية للقلوب وتطهيرًا لها" (٣٣) .

وقد ألقى هذا المستشرق ضوءً على عمل المستشرقين، وبيَّن مدى تعنتهم في موقفهم من الإسلام فقال: " لا تجد موقف الأوروبي من الإسلام موقف كره في غير مبالاة فحسب، كما هي الحال في موقفه من سائر الأديان والثقافات؛ بل هو كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر على صور من التعصب الشديد، وهذا الكره ليس عقليًا فقط، ولكنه أيضًا مصطبغ بصبغة عاطفية قوية.

قد لا تتقبل أوروبا تعليم الفلسفة البوذية أو الهندوكية، ولكنها تحتفظ دائماً فيما يتعلق بهذين المذهبين بموقف عقلي متزن، ومبني على التفكير... إلا أنها حالما تتجه إلى الإسلام يختل التوازن، ويأخذ الميل العاطفي بالتسرب، حتى إن أبرز المستشرقين الأوروبيين جعلوا من أنفسهم فريسة التحزب غير العلمي في كتاباتهم عن الإسلام، ويظهر في جميع بحوثهم، كما لو أن الإسلام لا يمكن أن يعالج على أنه موضوع بحث في البحث العلمي؛ بل على أنه متهم يقف أمام قضاته.

إن بعض المستشرقين يمثلون دور المدعي العام الذي يحاول إثبات الجريمة، وبعضهم يقوم مقام المحامي في الدفاع، فهو مع اقتناعه شخصيًا بإجرام موكله لا يستطيع أكثر من أن يطلب له – مع شيء من الفتور – اعتبار الأسباب المخففة.

وعلى الجملة فإن طريقة الاستقراء والاستنتاج التي يتبعها أكثر المستشرقين تذكرنا بوقائع دواوين التفتيش، التي أنشأتها الكنيسة الكاثوليكية لخصومها في العصور الوسطى، أي إن تلك الطريقة لم يتفق لها أبدًا أن نظرت في القرائن التاريخية بتجرد وغير تحزب، ويختار المستشرقون شهودهم حسب الاستنتاج، ولكنها كانت في كل دعوى تبدأ باستنتاج متفق عليه من قبل قد أملاه الذي يقصدون إليه مبدئيًا، وإذا تعذر عليهم الاختبار العرفي للشهود عمدوا إلى اقتطاع أقسام من الحقيقة التي شهد بها الشهود الحاضرون، ثم فصلوها عن المتن، أو تأولوا الشهادات بروح غير علمية من سوء القصد، من غير أن ينسبوا قيمة ما إلى عرض القضية من وجهة نظر الجانب الآخر، أي من قبل المسلمين أنفسهم " (٣٤).

وهذا المنهج الذي اتبعه المستشرقون المتعصبون في دراستهم للإسلام – كما عبر عنه هذا المستشرق الخبير بطرائقهم، والمطلع على أسرارهم – جعلهم يزيفون كثيرًا من حقائق الإسلام، ويشوهون كثيرًا من مبادئه:

– فقد زعموا أن فكرة الجهاد في الإسلام ليست إلا فكرة الاعتداء للغدر والحرب وفرض الإسلام بالقوة على غير المسلمين.

– وفسروا فكرة عدم قبول المسلم لولاية الأجنبي بأنها عنصرية واستعلاء.

– ونظروا إلى الزكاة على أنها وسيلة لتطهير الأموال التي هي في نظر الإسلام من أصل شيطان، نجس لا يحل للمسلم أن يتمتع بها إلا إذا طهرها وأرجعها إلى الله.

وشرحوا مبدأ قوامة الرجل على المرأة في الإسلام بفكرة التفوق، وجعلوها منه أمارة على أن الإسلام يضع من شأن المرأة، ويجعلها ذليلة لا تملك إلا أن تطيع الرجل.

هذه المزاعم الباطلة، وتلك التحريفات التي أرادوا أن يشوهوا بها الإسلام ليست إلا وليدة التحزب العلمي، وعدم الالتزام بالروح العلمية، وليست إلا ثمرة لطريقتهم في الاستنتاج، تلك الطريقة التي يحدد فيها الهدف أولاً، وهو تشويه الإسلام، ثم تفسير مبادئه في ضوء هذا الهدف.

وإذا كان المستشرقون قد حاولوا تشويه الإسلام، فإنهم حاولوا أيضاً أن يذكوا الفرقة القائمة بين الشعوب الإسلامية، وأن يثيروا أسباباً أخرى للقطيعة وعدم الاتصال، فتحدثوا عن الكرد والعرب في العراق، وعما بين الجنسين من فوارق، وتحدثوا عن العرب والبربر في شمال أفريقيا، وتحدثوا عن الشيعة والسنة في بغداد أو إيران والبلاد الإسلامية الأخرى، كما تحدثوا عن الفجوة بين مختلف الأقطار العربية وحكامها .

وأيضًا فإنهم حاولوا أن يخلقوا هوة في الإسلام حسب البيئة الجغرافية والعوامل القديمة للشعوب الإسلامية، فالإسلام في نظرهم ليس واحداً، كان واحداً أيام الفترة البدائية التي نزل فيها الوحي، وسلم المسلمون أمرهم فيها للتفويض، ولكنه لم يعد دينًا واحدًا،

فهناك إسلام الهند، وإسلام تركيا، وإسلام البربر في شمال أفريقيا، وإسلام مصر، وإسلام السعودية، وإسلام السودان.

وكذلك يزعمون أن الإسلام ليس واحدًا وإنما هو متعدد بتعدد طوائف المسلمين، فهناك إسلام الصوفية، وإسلام الفقهاء، وإسلام المتكلمين، وإسلام الفلاسفة (٣٥) .

ولا أستطرد في الحديث عن أعمال المستشرقين العدائية للإسلام والمسلمين؛ لأن هذا يحتاج إلى جهد كبير قد يضيق عنه هذا البحث، وأكتفي بأن أشير بإيجاز مركز إلى ملخص لدعوتهم التي كان لها أثرها في حركة التغريب، وفي فكر قادتها، فيما يلي:

١ – إن المجتمع الإسلامي في صلته بالإسلام، لم يكن على نحو قوي إلا في فترة قصيرة، هي الفترة الأولى في عهد بدائية المجتمع الإسلامي، وبدائية هذا المجتمع هي التي أوجدت نوعًا من التلاؤم بين الحياة فيه وتعاليم الإسلام، ثم بعد مضي هذه الفترة القصيرة البدائية اتسعت الفجوة بين المجتمع والإسلام كمصدر توجيه في الحياة، وكلما تطورت الحياة عجز الإسلام عن أن يجاري تطور الحياة لهذا المجتمع، وما زالت الفجوة تتسع حتى أعلنت تركيا الحديثة– مقر آخر خلافة إسلامية– إبعاد الإسلام عن مجال الحياة العامة.

٢ – إن التخلف عن تنفيذ تعاليم الإسلام تمليه الضرورة الاجتماعية تحت ظروف الحياة المتجددة، التي لم يستطع الإسلام أن يكيفها في ضوء تعاليمه، ولم يستطع أن يلائم بين تعاليمه وبينها والتشدد في تطبيق تعاليم الإسلام معناه: العزلة في الحياة، والتخلف في استخدام وسائل الحضارة، والترحيب بالفقر والمرض والجهل للمسلمين.

إن التطور – وهو قانون الحياة العام الذي لا مفر من الخضوع له – يجب أن يستخدمه المسلمون في إسلامهم؛ ليسايروا العالم الغربي الحديث، ولينجوا من أسباب الضعف والفساد، ويجب لهذا أن يتطوروا بالإسلام نفسه كدين.

والجماعة الإسلامية كي تتطور يجب عليها في رأيهم ما يلي:

(أ) أن تبعد الإسلام عن مجال العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وعلاقاتهم الدولية مع غيرهم، وأن تبعده أيضاً عن مجال السياسة والاقتصاد.

(ب) أن تسير الجماعة وفق المثل الغربية، وتتفاعل معها في بيئتها الشرقية لأن اتجاهات الغربيين في الفكر وفي الحياة قامت على مجموعة من التجارب الإنسانية، واستخدموا في تكوينها الطريقة " العلمية "، وهي الطريقة التي لا تتأثر بخرافة أو عقيدة خاصة، مستهدفة خير الإنسانية وحدها (٣٦) .

ومن الواضح أنهم بذلك يشوهون الإسلام، ويشوهون الفكر الإسلامي، ويحرفون الكلم عن مواضعه.

إن الإسلام – في نظرهم – لا يصلح للعصر، وأنه سبب التخلف، وأنه لايحقق التطور، ومن ثم يجب أن يبعد، كما يزعمون،عن مجال التوجيه في الحياة، وأن يكون – كالمسيحية – علاقة شخصية بين الإنسان وربه في داخل دور العبادة، دون أن يتدخل في أمور الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ومعنى هذا أن يكون دينًا لا دولة، وعلى ذلك فلا بد أن يأخذ المسلمون بالفكر الغربي، وقيمه في الحياة، وأن يطوروا دينهم، ويغيروا فهمهم له، حتى يكون شأنه شأن المسيحية في عزلتها عن الحياة العامة.

وينبغي أن ننبه إلى أن التطوير الذي يدعو إليه المستشرقون يهدف إلى تسويغ قيم الحضارة الغربية، ولا شك أن هذا يختلف عن الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد يقوِّم عِوَجَ الحياة بمباديء الإسلام، إذ يتساءل المجتهد عن حكم الإسلام في الأمر الذي جدَّ فى حياة

المسلمين، أما التطوير: فهو يسوِّغ عِوَجَ الحياة بنصوص الشريعة، إذ يتساءل المشتغل به عن النصوص الشرعية التي تثبت صحة هذا الأمر أو التي تثبت حرمته.

وعلى هذا فالتطوير خطير على المجتمع الإسلامي، وهذا الخطر يأتي إليه من وجهين:

الوجه الأول: أنه إفساد للإسلام، يشوش قيمه ومفاهيمه الأصيلة بإدخال الزيف على الصحيح، ويثبت الغريب الدخيل ويؤكده (٣٧) .

الوجه الثاني: أنه ينتهي بالمسلمين إلى الفُرقة التي لا اجتماع بعدها؛ لأن كل جماعة منهم سوف تذهب في التطوير مذهبًا يخالف غيرها من الجماعات، ومع توالي الأيام نجد إسلامًا تركيًا، وإسلامًا هنديًا، وإسلامًا إيرانيًا... إلخ. بل ربما نجد في داخل هذا الإسلام العربي ألواناً إقليمية تختلف باختلاف البلاد (٣٨) . وهذا ما ردده المستشرقون.

وعلى هذا فلا ينبغي أن ننساق وراء المستشرقين، ونسارع إلى ترديد الدعوات التي يدعون إليها؛ لأن مثل هذه الدعوات قد تبدو في الظاهر براقة، ولكنها تنطوي في باطنها على السموم والأخطار، وهذا يرجع إلى الحقد الدفين الذي يجعلهم يحملون على الحق، ويتخلون عن الأمانة العلمية، ويصدرون الأحكام التي تحاول النيل من الإسلام وعقائده وقيمه، وذلك تصديقًا لقول الله تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.(سورة الصف:٨).

ولكن الله تعالى قيَّض من المستشرقين أنفسهم من دفعهم الإنصاف إلى التصدي للكشف عن أباطيل إخوانهم المتعصبين، وتفنيد الشبهات والأكاذيب التي يثيرونها في وجه الإسلام، بل إن بعض الذين عُرفوا بالإنصاف قد انتهى بهم البحث عن الحق إلى الإسلام؛ وقد سئل الدكتور " جينييه " الذي كان عضوًا في مجلس النواب الفرنسي عن سبب إسلامه فقال: " إنني تتبعت كل الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبية والصحية والطبيعية، والتي درستها من صغري، وأعلمها جيدًا، فوجدت هذه الآيات منطبقة كل الانطباق على معارفنا الحديثة، فأسلمت لأني تيقنت أن محمدًا صلى الله عليه وسلم أتى بالحق الصريح من قبل ألف سنة دون أن يكون له معلم أو مدرس من البشر، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم قارن كل الآيات القرآنية المرتبطة بما تعلم جيدًا كما قارنت أيضاً لأسلم بلا شك إن كان عاقلًا خاليًا من الأغراض ".(٣٩)

المبحث الثاني : إسقاط الخلافة الإسلامية

١- الهدف : إذا كان الغرب قد سعى من خلال حركة التبشير والاستشراق إلى الغزو الثقافي، ومحاربة الإسلام الذي ربط بين شعوب المسلمين، وتفتيت وحدتهم، فإنه سعى من جهة أخرى إلى الغزو العسكري، خاصة بعد أن بنى جيشًا قويًا مجهزًا بأحدث الأسلحة، وأحس بتفوقه في مجال القوة العسكرية، وأراد أن يعود إلى الشرق الإسلامي لتحقيق أطماعه، والثأر من الإسلام والمسلمين، خاصة وأن تركيا عاصمة الخلافة الإسلامية كانت قد احتلت أجزاء من أوروبا (٤٠).

لقد تألبت الدول الأوروبية على الخلافة الإسلامية، واجتمعت كلمة المسيحين على الوقوف في وجه التيار الإسلامي الجارف، وعقدت المعاهدات، وتضافرت القوى لهذا الغرض، وكان من سوء حظ الخلافة الإسلامية أن ظهرت هذه الحركة الأوروبية في وقت كان سلاطين آل عثمان قد انغمسوا في الترف، واستسلموا للدعة والنعيم(٤١) . ولهذا فإنهم لم يستطيعوا أن يصمدوا في هذا الصراع الأوروبي. فأخذت الدول الإسلامية تسقط تحت سيطرة الدول الأوروبية التي تسابقت إلى تقطيع أوصال دولة الخلافة وتوزيع الغنائم، فاستولت إنجلترا على الهند سنة ١٨٥٧ م، واستولت على مصر سنة ١٨٨٢ م وعلى

العراق سنة ١٩١٤ م وعلى فلسطين سنة ١٩١٨ م. واستولت فرنسا على الجزائر سنة ١٨٣٠ م، وعلى تونس سنة ١٨٨١ م، ومراكش سنة ١٩١٢ م، وعلى سورية ولبنان سنة ١٩٢٠ م. واستولت إيطاليا على ليبيا سنة ١٩١١ م.

وهكذا هوت الخلافة العثمانية أو الإسلامية من شاهق، وهان أمرها، وأصبحت تُعرف بـــ " الرجل المريض " الذي لا حول له ولا قوة.

ولم يقنع الغرب بذلك، لأنه كان يسعى إلى إسقاط الخلافة الإسلامية: وكان من الضروري أن يتم ذلك قبل أن تقوم دولة إسرائيل، وهذا ما تنبأ به " تيلوس " سنة ١٩٠١ م، بعد أن اطلع على بروتوكولات حكماء صهيون.

لقد كانت الخلافة العثمانية رغم ضعفها وسوء أحوالها آنذاك حامية للإسلام، ورمز قوة المسلمين، ومن ثم فإن اليهود سددوا ضربتهم عليها، وقدموا عروضاً مغرية على يد مندوبهم اليهودي "قره صو"، الذي تقدم بهذه العروض إلى السلطان عبد الحميد لإعطائهم فلسطين، فما كان من السلطان إلا أن رفض وقال له: " اغرب عن وجهي أيها الخنزير، أنا لا أستطيع أن أبيع شبراً واحداً من أرض فلسطين؛ لأنها ليست ملكي، بل هي ملك المسلمين، أخذوها بدمائهم، ولن يعطوها إلا بدمائهم " فخرج اليهودي وهو يتوعد الخليفة.

ولهذا فإن المؤامرات اليهودية تعاونها المخططات الاستعمارية لم تدعه؛ بل أخذت تعمل على خلعه وإبعاده عن الحكم، وبالفعل تحقق ذلك بعد الانقلاب الذي دبره الاتحاد والترقي، وكان " قره صو " من بين الذين قدموا له صك التنازل (٤٢).

والسؤال كيف تم إسقاط الخلافة الإسلامية ؟

٢- وسائل إسقاط الخلافة الإسلامية:

الواقع أن الغرب قد خطط ودبر لذلك تدبيرًا محكمًا، فمهد له بالدعوة إلى أمرين، هما:

١ – فكرة القومية. ٢ – فكرة الفصل بين الدين والدولة.

١ - فكرة القومية:

لقد كانت الخلافة الإسلامية في تركيا تجمع بين المسلمين عامة، دون تفرقة بين الأسود والأبيض، ولا بين العربي وغير العربي، فلا مكان فيها لعصبية ولا لعنصرية، فرابطة الإسلام تسوي بين الجميع، وتصهرهم في بوتقة واحدة، وتجعل منهم أمة واحدة لا اعتبار فيها للأنساب والأجناس، والحق أن هذه الخلافة ظلت مدة طويلة تحمل لواء الإسلام، وتذود عن المقدسات، وتحمي الديار، وتصد قوات الاستعمار، وكانت على علاتها – في الفترة الأخيرة – رمزًا لقوة الإسلام وشوكته، كما كانت رمزًا لوحدة المسلمين وترابطهم.

وأراد الغرب أن يضرب هذه الوحدة، وأن يسقط الخلافة التي تحمي هذه الوحدة، فقرر إحياء العصبيات والنزعات العنصرية، وذلك بالدعوة إلى فكرة القومية، وسواء أكان الغرب هو الذي دعا إليها، أم كانت هذه الفكرة قد انبعثت من الشرقيين أنفسهم، فإن الذي لا شك فيه أن الغربيين كانوا وراءها، فقد عملوا على نشرها، وساندوا دعاتها الذين تأثروا بتيار القوميات الذي اجتاح أوروبا من قبل، وأوهموا الشعوب الإسلامية أنه لا أمل في نهضتهم إلا في ظل قوميتهم المتحررة...

– والقومية تدعو أصحابها – وهم جماعة محدودة من الناس يضمها إطار جغرافي ثابت، ويجمعها تراث مشترك، وتنتمي إلى أصول عرقية واحدة، وحسب ما اصطلح عليه علماء الأجناس المحدثون – إلى العمل على تعزيز ثقافتهم الموحدة، وتدعيم تراثهم

المشترك، وتنمية مصالحهم الخاصة، مع حصر جهودهم في هذا النطاق وحده، دون نظر إلى الاعتبارات التي تجمعهم قبل ذلك مع غيرهم في رباط مشترك (٤٣).

ومن الواضح أن الدعوة إلى القومية بهذا المعنى تؤدي إلى تفتيت وحدة المسلمين، وانفصال العرب عن الترك، والقضاء على الخلافة الإسلامية، وهو ما كان يقصد إليه الغرب من وراء نشر هذه الفكرة والترويج لها بين العرب، وبين الترك، وبين المسلمين عامة.

وعلى أي حال فقد انتشرت الفكرة بين المسلمين في تركيا، وفي البلاد العربية، وفي الهند وإندونيسيا وإيران.

ففي تركيا ظهرت الدعوة إلى القومية التركية أو الطورانية على يد المدعو " يوسف قشورابك " الذي بدأ بالدعوة الطورانية، ووجد له الأعوان من عملاء الاستعمار فكشفوا عن خطتهم، وأبانوا عن دعوتهم، وهي الدعوة إلى القومية الطورانية التركية، ونبذ كل ما عداها من القوميات الدخيلة على تركيا (٤٤).

وقد تبنى الفكرة من بعده حزب الاتحاد والترقي (أو حزب تركيا الفتاة) ولعل الأسباب التي أدت إلى ظهور القومية التركية القائمة على التئام العروق العنصرية أن أوروبا قد زادت حملاتها على الأقطار العثمانية، واقتطعت منها ما استطاعت، فكان هذا الاعتداء دافعًا إلى ظهور العصبية الجنسية بين الأتراك حتى ينهضوا من أجل صيانة استقلالهم (٤٥).

وقد كان من غاية الترك في عصبيتهم الجنسية تتريك جميع العناصر التي تتألف منها الرعية العثمانية، على اختلاف النحلة والدين والعرق، بحيث يكون من ذلك كله مجموع ممتزج ببعض، هو الأمة التركية صيغة ولسانًا وتفانيًا في الوطنية التركية. (٤٦)

وكان من الطبيعي أن يصطدم ذلك بالعصبيات الجنسية الأخرى، كالعصبيات النصرانية، والعصبية العربية.. وبالإضافة إلى هذا فإن السلطان عبد الحميد الثاني كان يقاوم العصبية التركية، وكان بطبيعته يمقت العصبيات الجنسية على اختلافها، كما كان يرى أن من شأن هذه العصبيات أن تحول بينه وبين الوصول إلى أمله الذي كان يسعى إليه، وهو الجامعة الإسلامية..

ومن هنا فإنه كان يرتاب في رجال النهضة التركية، وكان يضطهدهم.

فلما نجحت ثورة سنة ١٩٠٨ م في عزله، اندفع رجال " تركيا الفتاة " يعملون لتتريك المملكة قاطبة في فترة من الزمن يسيرة، مما أدى إلى إشعال نار العداء بين العنصر التركي من جانب، والعناصر النصرانية والإسلامية من جانب آخر.

ومن هنا أخذت فكرة القومية العربية تقوى وتشتد، واتخذت الدعوة إليها في أول أمرها شكلًا تلقائيًا يُعنى ببعث التراث العربي، والدعوة إلى الاهتمام باللغة العربية وجعلها لغة التعليم والقضاء والدواوين في البلاد العربية، بدلًا من اللغة التركية التي كانت هي اللغة المستعملة آنذاك في هذه المجالات (٤٧).

ثم راحت بعد ذلك تتخذ شكلًا متطرفًا على يد أعضاء بعض دعاتها الذين تأثروا بالدعوات القومية المتطرفة في أوروبا، وأصبح هؤلاء يتطلعون إلى الاستقلال عن تركيا، وإنشاء دولة عربية مستقلة على النمط القومي الغربي الذي يقوم على مؤسسات ديمقراطية قوامها إرادة الشعب الممثلة في مجالس نيابية منتخبة (٤٨).

ويمكن القول – دون أن ندخل في تفصيلات لا يسمح بها البحث – بأن القومية العربية كانت ترمي إلى انسلاخ البلاد العربية عن الخلافة العثمانية، ولاشك أن الاستعمار قد لعب دورًا خطيرًا مع دعاة القومية العربية آنذاك، فكان يحركهم ويوجههم، ويدفعهم

للخروج على الخلافة العثمانية والثورة ضدها؛ بل كان يساندهم ويقدم لهم المعونات، ويدبر معهم المؤامرات، وذلك كي يمزق شمل الإسلام والمسلمين، ويهدم هذا الحصن المنيع – حصن الخلافة – الذي كان على ضعفه وتصدعه يحمي هذه الشعوب المسلمة، ويدفع عنها عاديات الدول الباغية.

وينبغي أن ننبه إلى أن فكرة القومية لا تصلح أساسًا لوحدة الأمة العربية، ولا أي أمة أخرى؛لأن الذي يوحد الأمم ويجمع الشعوب إنما هو العقائد، والحرب حرب عقائدية، والصراع السياسي في عصرنا الحاضر لا يقوم ولايتركز على أساس من القوميات، وإنما يقوم على المذاهب السياسية العقائدية. فالشيوعية ليست قومية؛ بل تضم أقوامًا من عدة أجناس، وكذلك الحال بالنسبة للرأسمالية، فهي ليست قومية؛ لأنها تضم أقوامًا مختلفين.

ونحن لا ننكر القومية بصفتها رابطة جنسية يرتبط فيها الإنسان ببني جنسه وقومه ووطنه، فالإنسان مرتبط بهذه الرابطة بحكم فطرته وطبيعته، ولكننا ننكر القومية التي يتخذها بعض الناس فكرة سياسية، أو مذهبًا مستقلا، أو نظاماً اجتماعياً لحياة الأمة، أو عقيدة يستبدلونها بعقيدة الإسلام .

٢ - فكرة الفصل بين الدين والدولة:

تعتبر هذه الفكرة غريبة عن الشرق الإسلامي؛ لأن الإسلام نظام أو منهج شامل للحياة البشرية في شتى مجالاتها السياسية والاقتصادية والخلقية والدينية. فهو دين ودولة، لم يترك أمراً من أمور الدنيا أو الدولة إلا ووضع تشريعاً أو نظاماً له. ورسالته رسالة تهذيب وحكم، والرسول صلى الله عليه وسلم بلّغ الرسالة، وحكم بين الناس، وساس أمورهم، ودبر شؤون حياتهم، وحرص على تحقيق العدل بينهم، استجابة لأمر الله تعالى في قوله:﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ﴾(الشورى:١٥) وقوله ﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (المائدة: ٤٩).

والقرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد، وتشريع وبيان، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ (النحل:٨٩)، وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ﴾(المائدة:٣).

وعلى ذلك فإن فكرة (الفصل بين الدين والدولة) ليست نابعة من المجتمع الإسلامي، ولكنها دخيلة عليه، انتقلت إليه من الغرب، وقد روَّج لها الاستعمار وأجهزته، وحاولوا التمكين لها بين المسلمين، مستهدفين من ذلك تجريد الخليفة العثماني من السلطة، وتمزيق الوحدة السياسية بين المسلمين، وإلغاء الشخصية الإسلامية.

إن فكرة الفصل بين الدين والدولة تعني وجوب تنحية الدين، وإبعاده عن الدخول في أي شأن من شؤون الدولة، وهذا له ما يبرره في الغرب؛ لأن الكنيسة كانت متسلطة على شؤون الحياة كلها في العصور الوسطى، واستعبدت الغربيين زمناً، وأغلقت أمامهم أبواب البحث الحر، وضيَّقت حدود الدراسة والنظر، واضطهدت العلماء الذين ظهروا في عصر النهضة، ونكَّلت بهم، واستحلَّت دماءهم وأموالهم، وأنشأت محاكم التفتيش التي عاقبت كثيراً من العلماء ومن المعارضين لها، وكفَّرت كل من خرج على تعاليمها من العلماء، وعاقبتهم، من أمثال " كوبرنيقوس " و " جاليليو "؛ بل أحرقت بعضهم أحياء، من أمثال العالم الطبيعي " برونو " [(٤٩)].

وكان من الضروري أن يحدث رد فعل لهذا التعنت الذي مارسته الكنيسة، فثارت أوروبا ضد الدين، وضد التصورات الكنسية، وتولَّد السخط في نفوس العلماء.

في هذه الظروف والملابسات نشأت في أوروبا فكرة الفصل بين الدين والدولة، وذلك للحد من سلطة الكنيسة، وقصر وظيفتها على الأمور الروحية.

وإذا كانت الفكرة لها ما يبررها في الغرب كما رأينا، فليس لها ما يبررها، لا من الناحية الفكرية، ولا من الناحية التاريخية في شرقنا الإسلامي.

ولكن المستعمرين وجنودهم من المسلمين قد زعموا أن أوروبا قد فصلت الدين عن السياسة بتاتًا، وأنه لم يبق من يخلط الدين بالسياسة، ويجعل للحكومة صبغة دينية إلا المسلمون الذين لم ينظروا إلى ما حولهم من المحدثات التي من جملتها جعل الدين في واد، والسياسة في واد.

وإذا كان المسلمون يريدون أن يفلحوا، كما ينصح هؤلاء، فلا مناص لهم من الاقتداء بالأوروبيين في ذلك، بأن ينزعوا عن حكوماتهم كل صبغة إسلامية، كما نزع الأوروبيون عن حكوماتهم كل صفة مسيحية[٥٠] .

وقد اعتنق الفكرة (حزب الاتحاد والترقي في تركيا)، وعمل على ترويجها، وسارع إلى تطبيقها، فصارت الحكومة المدنية في أنقرة هي التي تحكم، والخليفة في الآستانة بغير سلطان تطبيقًا لفصل الدين عن الدولة.

وهكذا نجح الغرب في التمهيد لإسقاط الخلافة الإسلامية؛ ببث فكرة القومية، وفكرة الفصل بين الدين والدولة بين المسلمين، وكان من جراء ذلك تمزيق وحدة الشعوب الإسلامية، وعزل الإسلام عن شؤون الحياة، وجاءت بعد ذلك الحرب التي أدت إلى انهيار الدولة العثمانية التي انفصمت عراها، وتقطعت أوصالها، ثم كشفت الدول الاستعمارية عن وجهها وعن عدائها، وظهر ذلك جليًا في الشروط التي عرفت بشروط كيرزون(وزير خارجية بريطانيا آنذاك) الأربعة لاستقلال تركيا، وهذه الشروط هي:

(أ) إلغاء الخلافة الإسلامية من تركيا.

(ب) أن تقطع تركيا كل صلة بالإسلام.

(جـ) أن تُجمد تركيا وتشل حركة جميع العناصر الإسلامية الباقية فيها.

(د) أن تستبدل الدستور العثماني القائم على الإسلام بدستور مدني بحت[٥١] .

ولا شك في أن هذه الشروط تدل دلالة واضحة على حقد المستعمرين على الإسلام والمسلمين، وتكشف عن أهدافهم ومقاصدهم.

وعلى أي حال، فإن حكومة " مصطفى كمال أتاتورك " قد قبلت هذه الشروط، وقامت بتنفيذها، وأعلنت إسقاط الخلافة الإسلامية سنة ١٩٢٤ م، ثم أعقبت ذلك بسلسلة الإجراءات التي تهدف إلى سلخ تركيا عن الإسلام.

المبحث الثالث : التغريب

لقد نجح الغرب في إسقاط الخلافة الإسلامية التي كانت رمز الوحدة للمسلمين وترابطهم، كما نجح في تمزيق الشعوب الإسلامية، وفرض سيطرته عليها، وهو بذلك قد حقق أهدافه ومقاصده. وكان المفروض أن تقف حملته الضارية على الإسلام والمسلمين عند هذا الحد، ولكنه أدرك ما صرح به " جب " من أن صحوة الإسلام تتم بسرعة، وما صرح به بعضهم من أن المسلمين أشد خطورة عليهم من اليهود والبلاشفة أو الشيوعيين[٥٢] .

ومن ثم حاول الغرب أن يتخذ من الوسائل ما يدرأ عنه هذا الخطر، ويضمن بقاء المسلمين ضعفاء متخلفين متصارعين يضرب بعضهم بعضاً، ومن أهم هذه الوسائل: التغريب الذي يهدف إلى إبعاد المسلمين عن الإسلام، باعتباره الخطر الحقيقي على الغربيين كما يتصورون أو يتوهمون.

١- معنى التغريب : والتغريب يعني أن يسير المسلمون سيرة الغربيين المستعمرين، ويسلكوا مسلكهم، ويأخذوا في حياتهم بالفكر الغربي بكل نظمه وتقاليده وعاداته وتصوراته.

ولم يكن قصد الغربي المستعمر من ذلك تمدين البلاد التي استعمرها كما يزعم، ولكنه كان يقصد بذلك إزالة الحواجز التي تقوم بينه وبين الشعوب المستعمَرة، وهي حواجز تهدد مصالحه الاقتصادية، وتجعل المحافظة عليها غير مأمونة العواقب.

كانت هذه الحواجز الناشئة عن الاختلاف في الدين، وفي اللغة، وفي التقاليد والعادات والقيم سبباً في إحساس المسلمين بالنفور من الأجنبي المستعمِر، وفي إحساس المستعمِر بالغربة، والشعور بالخطر الذي يهدده في بعض الأحيان، وكان هذا الإحساس بالغربة وبالخطر أعظم ما يكون حين يتعامل المستعمر الغربي مع المسلمين، وذلك لأن الإسلام ليس مجموعة من الطقوس الدينية فقط، كغيره من الأديان، ولكنه حضارة كاملة لها لغتها التي لا يصح التعبد بغيرها، ولها قيمها وقوانينها التي تمتد وتتغلغل لتشمل سائر احتياجات الأفراد والجماعات في سلوكهم، وفي معاملاتهم، وفي نشاطهم الفكري والفني على السواء، وقد كان هذا هو السبب في قوة الرابطة التي تجمع المسلمين على هذه الحضارة، والتي تذيب ما بينهم من فوارق الجنس واللغة والمكان؛ بل تزيل الفوارق الناشئة عن اختلاف الزمان، لتضم هذه الأمة في وحدة كونية ترد آخرها إلى أولها، وتجمع حاضرها وماضيها، بسبب ثبات القيم الإسلامية، وقدرتها على الاستجابة لحاجات الحياة في تقلباتها وأحداثها المتجددة، وبسبب ثبات لغة هذا الدين ومرونتها.

ومما زاد في شعور المستعمرين الأوروبيين بالغربة والخطر، الصراع الطويل بين الإسلام والغرب، فقد توسع الإسلام على حساب الامبراطورية البيزنطية في الشام وآسيا الصغرى وشمال أفريقية، وظل الصراع قائماً بينهما على امتداد التاريخ، حتى بلغ قمته في الحروب الصليبية، ثم بلغ مد الإسلام غايته حين احتل العثمانيون عاصمة الدولة سنة ١٤٥٣م، واتخذوها عاصمة لدولتهم التي توغلت في أوروبا، وكادت تكتسحها حين هددت فيينا سنة ١٥٢٩ م وظل هذا التهديد قائمًا حتى سنة ١٦٨٣ م (٥٣).

٢- وسائل التغريب : ولا شك أن هذا التاريخ الحافل بألوان الصراع والعداء كان يزيد في شعور المستعمِر بالغربة والخطر، ومن ثم لجأ إلى التغريب من خلال البعثات التعليمية، ووسائل الإعلام والتعليم ، فقد فرضت الدول الغربية المستعمرة لغاتها وثقافتها في البلاد المحتلة، وأصبح التعليم في داخل هذه البلاد يجري على تخطيط غربي رسمه الاستعمار، وأشرف على تنفيذه بنفسه أو بأيدي صنائعه من الأصدقاء والعملاء، وذلك لأن المستعمِرين أدركوا أثر التعليم في تكوين الشخصية، وتشكيل فكرها وعاداتها وتقاليدها، وذلك لأن روح التعليم تعتبر ظلاً للعقيدة والفكر والنظرة إلى الحياة والكون، وهذا هو الذي يجعل لنظام التعليم في كل أمة شخصية مستقلة، وروحاً مميزة. ومن هنا فإنهم حاولوا أن يسيطروا على التعليم في البلاد الإسلامية، ويخضعوه للنظام الغربي، حتى تكون الروح المسيطرة عليه ظلاً لفكرهم وعقيدتهم وعاداتهم وتقاليدهم ونظرتهم إلى الحياة.

وهذه الروح هي التي سرت في هيكل التعليم عندما خضع للنظام الغربي، سرت في جميع العلوم: من الفلسفة والتاريخ والآداب والدراسات الدينية والعلوم العملية والعمرانية والإنسانية والاقتصادية.

لقد بث الغرب في هذه العلوم كثيراً من أفكاره التي تحاول أن تشوه القيم الإسلامية، وتمجد القيم المسيحية الغربية، وبث الروح النقدية التي لا تتقيد بدين أو عقيدة

في البحث، ونشر الروح المادية المعادية للقيم الدينية، والرافضة للأديان؛ لأنها لا تُثْبَتُ بالمنهج العلمي الذي يقوم على التجربة وحدها كمصدر للمعرفة اليقينية.

ولا شك أن نظاماً تعليمياً يقوم على هذه الفلسفة، ويتسم بهذه الروح، ثم يقدم لأمة مسلمة لها عقيدتها وفكرها وتقاليدها وأخلاقها وفلسفتها في الحياة والكون، لا بد وأن يؤدي إلى صراع عقلي، ثم يتدرج إلى زعزعة العقيدة، والردة الفكرية، وقد ينتهي بالردة الدينية.

ومن الواضح أن التربية الغربية قد أفضت إلى زعزعة الثقة لدى كثير من الشباب المسلم في ماضيهم، وفي تراثهم وحضارتهم، فاستهانوا بأمتهم وتاريخهم، واعتزوا بكل ما هو غربي. ومن الملاحظ أن العقيدة الدينية قد ضعفت بين المتنورين الذين نشأوا على أسس غربية، أو تعليم غربي.

وليس معنى هذا أننا ننكر الاستفادة من علوم الغرب؛ بل إننا ندعو إلى مجاراة الغرب في الإقبال على العلوم الكونية، ومعرفتها من أي سبيل، بعد أن نجردها من الروح الغربية المسيطرة عليها، أعني روح المدنية المناهضة للدين.

وقد أشار إلى ذلك المستشرق النمساوي المسلم " محمد أسد " فقال: "يجب علينا ألا نتردد في درس العلوم الرياضية والطبيعية حسب الأسس الغربية، ولكن يجب ألا نتنازل للفلسفة الغربية عن أي دور من أدوار تنشئة أحداث المسلمين.

ولا شك في أن بعضهم قد يقول إن كثيراً من العلوم الرياضية والطبيعية في الوقت الحاضر كالطبيعيات الذرية مثلاً، قد بلغ حداً أبعد من البحث التجريبي الخالص، وعلى ذلك يجب أن نتعدى بدراستنا إلى حقل الفلسفة، ثم إنه من الصعب في كثير من الأحوال أن نجد حداً فاصلاً بين العلم التجريبي وبين الفلسفة النظرية، ذلك حق، ولكن من الناحية الثانية، تلك النقطة التي يجب على الثقافة الإسلامية أن تثبت نفوذها عندها، وسيكون من واجب العلماء المسلمين أن يستخدموا نظرهم العقلي مستقلين فيه عن النظريات الفلسفية الغربية، وأنهم من طريق اتجاههم الخاص – الإسلامي – قد يصلون إلى نتائج في المعقولات تختلف بعض الاختلاف عن تلك التي وصل إليها العلماء الغربيون المحدثون"(٥٤) .

وقد وضَّح هذا المستشرق النمساوي الآثار السيئة التي تترتب على دراسة الأدب الأوروبي فقال: " الطريقة التي تجري عليها معالجة الأدب الأوروبي وتدريسه في البلاد الإسلامية تدور مع الهوى، إن الإغراق الذي لا حد له في قدر قيمته يحمل العقول الناشئة الغضة على أن تتشرب روح المدنية الغربية بثقة عمياء، واندفاع كبير، قبل أن يتاح لها أن تعرف النواحي السلبية فيها معرفة كافية، وهكذا لا تكون الطريق معبدة لحب الأدب حباً عذرياً فقط، ولكن لتساعد على التقليد الأعمى لتلك المدنية التي لا يمكن أن تتفق مع روح الإسلام: إن تعليم الأدب الأوروبي على الشكل الذي يسود الكثير من المؤسسات الإسلامية، يقود إلى جعل الإسلام غريباً في عيون الناشئة المسلمة " (٥٥).

وكذلك أشار " محمد أسد " إلى أن الأوروبيين قد عرضوا التاريخ عرضاً يدلك على أن الشعوب الغربية ومدنيتها أرقى من كل شيء جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم، ويبرهن على أن عظمة ما بلغ إليه الأوروبيون في النواحي الاجتماعية والعقلية لا يمكن أن يقاس بها شيء مما حدث في العالم أجمع، وكأن العالم قد أُوجد من أجل أوروبا، ومن أجل مدنيتها فقط.

ولا شك أن تدريس التاريخ على هذا النمط، يؤدي إلى شعور الشعوب الإسلامية وغيرها من الشعوب غير الأوروبية بالنقص فيما يتعلق بثقافتهم الخاصة، وبماضيهم التاريخي الخاص، وبالفرص السانحة لهم في المستقبل.

ثم قال محذراً من الجو الفكري للمدنية الغربية: " وإذا كان المسلمون قد أهملوا فيما مضى البحث العلمي، فإنهم لا يستطيعون أن ينتظروا إصلاح هذا الخطأ عن طريق قبول التعليم الغربي من غير وازع ما، إن كل تأخرنا العلمي، وكل فقرنا، لا يوزنان بذلك التأثير المميت الذي سيحدثه تقليدنا الأعمى لنظام التعليم الغربي في قوى الإسلام الدينية الكامنة. إذا أردنا أن نحفظ حقيقة الإسلام على أنها عنصر ثقافي، فيجب علينا أن نحترس من الجو الفكري للمدنية الغربية، ذلك الجو الذي أصبح على وشك أن يتغلب على مجتمعنا، وعلى ميولنا، وبتقاليد عادات الغرب وزيه في الحياة يصبح المسلمون تدريجياً مضطرين إلى الأخذ بوجهة النظر الغربية؛ لأن تقليد المظاهر الخارجية يقود شيئًا فشيئًا إلى تقبل الميل العقلي المصاحب لذلك "(٥٦) .

ولا شك أن هذا التعليم كان له أثر كبير في تحقيق الغزو الفكري، وإعداد قادة التغريب في العالم الإسلامي؛ لأنهم لم يستطيعوا أن يميزوا بين الحق والباطل، وبين الصحيح والسقيم؛ بل انبهروا بكل ما في الفكر الغربي من قيم، على أن كثيراً من قادة التغريب قد سافروا في بعثات إلى أوروبا، وأمّوا عواصم الغرب، ومراكز الثقافة العصرية الكبرى هناك للتوسع في الدراسات والتعمق فيها، فخاضوا هناك في لجة الفكر الغربي، وفي غمار الحضارة الأوروبية، وعاشوا في الأوساط العلمية التي اعتادت البحث العميق الدقيق، واعتادت الحرية الفكرية، ودرسوا هناك على زعماء الاستشراق، وخاصة المتعصبين الذين حرصوا على تلقينهم أفكارهم المعادية للإسلام وقيمه، وكأن هؤلاء المستشرقين – بعد أن رأوا أن أساليبهم لم تعد تخدع المسلمين، وأصبحت عاجزة عن تحقيق أهدافهم في الطعن على الإسلام والنيل منه – أرادوا أن يعدوا تلاميذهم ليعودوا إلى بلادهم، ويقوموا نيابة عنهم بتحقيق أهدافهم، وترويج أفكارهم، حيث إن الرجاء في استجابة المسلمين لهؤلاء الأعوان يكون أقوى؛ لأن شكهم في إخوانهم يكون ضعيفًا.

وأيًا ما يكن، فإن برامج التغريب كانت تحاول أن تخدم هدفًا مزدوجًا: فهي تحرس مصالح المستعمرين بتقريب الهوة التي تفصل بينهم وبين المسلمين نتيجة لاختلاف القيم، ونتيجة للمرارة التي يحسها المسلم إزاء المحتلين لبلاده، ممن يفرض عليه دينه جهادهم. وهي في الوقت نفسه تضعف الرابطة الدينية التي تجمع المسلمين، وتفرق جماعتهم التي كانت تلتقي على وحدة القيم الإسلامية، فيستطيع الاستعمار أن ينفرد بكل بلد على حدة، وأن يتفرغ لمواجهة ما عساه ينشأ من ثورات، وظهره آمن من ثورات المناطق الأخرى في مستعمراته التي قد تهب لمساندتها (٥٧) .

وبناءً على ما سبق نجد أن الغرب قد نجح، بسياسته ومخططاته، في تحقيق أهدافه، حيث غزا فكره عقول كثير من المسلمين، وخاصة الذين تبنوا الدعوة إلى الأخذ بالفكر الغربي، وتقليد الحضارة العصرية بكل ما تنطوي عليه من مبادئ وتصورات وقيم؛ وذلك لأنه ركز على تفريغ العقل والقلب الإسلاميْن من القيم الإسلامية المستمدة من التوحيد والإيمان بالله، ودفع هذه القلوب عارية أمام عاصفة هوجاء تحمل معها السموم عن طريق التعليم والصحافة والكتاب والمسرحية والأزياء والملابس... ومن ثم خرَّجت هذه المؤسسات جميعاً ذلك الجيل الذي حمل دعوة الهدم، وسار بها تحت اسم التقدم والحضارة، وعمد إلى متابعة المستشرقين والمبشرين في تحريف التاريخ الإسلامي،

وتشويه مبادئ الإسلام وثقافته، وانتقاص الدور الذي لعبه في تاريخ العالم، مع خلق شعور بالنقص في نفوس المسلمين [٥٨].

وينبغي أن ننبه إلى أن هذا الغزو الفكري والحضاري قد أحدث في المجتمعات الإسلامية أزمة جذرية عنيفة، وثورة نفسية فكرية، فكان الشك والجحود لأسس حضارتنا، ومعتقداتنا، ولقيمنا ومفاهيمنا وتاريخنا، وغمرت هذه الموجة من الشك - ولا تزال - طبقة كبيرة من المثقفين، وكان ذلك طبيعياً في زمن جاءهم فيه النور من نافذة واحدة، هي نافذة الغرب، وكان الإسلام الصحيح محجوباً عنهم بحواجز من مخلفات عصور التدهور، ولهذا كانت هذه الثورة أشد ما تكون في نفوس بعض الذين نشأوا على الثقافة القديمة - ثقافة عصر الانحطاط والجمود - بسبب شدة الصدام والصراع الحادث في نفوسهم بين الصورة المشوهة الضيقة الأفق التي تلقفوها في بيئتهم الثقافية، والصورة الحية الناضرة الواسعة الأفق التي واجههم بها الفكر الغربي.

أهداف الغزو الفكري:

توجد عدة أهداف للغزو الفكري، أهمها ما يلي:

١ - تفريغ العقل والقلب من قيمنا الإسلامية.

٢ - الشك والجحود لمعتقداتنا وقيمنا ومفاهيمنا وتاريخنا، وأسس حضارتنا...

٣ - محو الدين من النفوس، وجعل الإنسان أسيراً لأنانيته وشهوته... وهذا ما تقوم به المذاهب المادية الإلحادية..

٤ - ضياع وحدة المسلمين، وتفكيك عرى التماسك بينهم، وذلك بإشعال نار الانقسامات بين المسلمين وبين الفرق الإسلامية، وإحياء النزعات القديمة، مثل: الفرعونية والفينيقية... من أجل أن تغطي على انتماء المسلمين لإسلامهم وتاريخهم وحضارتهم.

وهكذا يحاول الغزو الفكري أن يحتوي المسلمين، ويستولي على عقولهم، ويصوغ لهم أفكارهم، ويخطط لهم في كل مجالات حياتهم، حتى ينسوا دينهم الذي يُراد إزاحته تماماً من النفوس، أو على الأقل يُراد له أن يكون فقط مجرد مظهر خارجي يتمثل في بعض المظاهر الدينية الشكلية التي لا تعني شيئًا. فالمستهدف في النهاية هو الإسلام، بوصفه يشكل العقبة الرئيسة أمام القوى الأجنبية التي تحاول السيطرة على المسلمين، أو استنزاف خيراتهم.

فما دام القرآن يتلى بين المسلمين، وما دام الإسلام حياً في نفوسهم، فمن المستحيل أن يأمن العدو أو يهدأ له بال، أو يقر له قرار، فالإسلام يرفض ولاية الأجنبي على المسلمين، وفي الوقت نفسه يغرس العزة في نفوس المؤمنين.

ومن هنا تحاول شتى التيارات الفكرية الوافدة أن تصفي أدمغة المسلمين من المحتوى الحقيقي للإسلام بطريق مباشر أو غير مباشر.

Abstract

The Intellectual Invasion and its Aspects

By Saied Bn- Ahmed Al- Afandi

The history has been full with all colors and forms of struggle and hostility for Islam and Muslims by the foreigner powers which sought to control them, and to take away their resources, using multiple ways and methods, including intellectual invasion which transformed from changing the outer appearance of Muslims to targeting Islam itself as they thought it was the main obstacle in their way to achieve that goal; through corrupting the morals and corrupting Muslims, and to deform Islam, perhaps one of the most prominent means of evangelization Christianization, which was not the real purpose of widespread of Christianity, but questioning Islam and the exclusion of Muslims from their religion, as well as Orientalism which sought to characterize Islam as a symbol of backwardness and retrograde and non-evolutionary and reactionary, and isolation from public life, as well as an attempt to overthrow the Ottoman Islamic Caliphate, which was the unity of all Muslims, so the beating and drop this unit animates the racist and racist tendencies, and finally and fear of Islamic awakening the West resorted to the use of Westernization, To push the Muslims to follow the West in its traditions, customs and perceptions, and to empty hearts and minds of Islamic values and principles, leaving them weak and empty, and creating a sense of inferiority in the hearts of Muslims.

We can say that the West succeeded through Civilized and intellectual invasion to create radical and violent crisis, and to create psychological revolution in the intellectual societies of Islam, so that resulted in doubt and the absurdity of the foundations of our civilization and our beliefs and values and our concepts and history, which led to achieve the West goals and objectives.

الهوامش

(١) انظر: الفيروز آبادي : القاموس المحيط ج . ص(٣٦٩/٤).

(٢) انظر: المعجم الوسيط ج . ص (٦٥٢/٢).

(٣) انظر: د / محمود حمدي زقزوق: هموم الأمة الإسلامية ص (١٧٧، ١٧٨). الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٢٠٠١ م.

(٤) انظر: الدكتور علي جريشة: أساليب الغزو الفكري ص (١٩). دار الاعتصام بالقاهرة. سنة ١٩٨٨ م.

(٥) راجع: د / عبد المقصود عبد الغني: الاتجاهات المعاصرة في الفكر الإسلامي الحديث. الفصل الثاني من الباب الأول. دار الثقافة العربية – ١٩٨٨ م.

(٦) انظر: عمر فروخ: التبشير والاستعمار ص (١٣).

(٧) انظر: المسيو شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي. ترجمة: محب الدين الخطيب ص (٣٥).

(٨) انظر: عمر فروخ: التبشير والاستعمار ص (٢١).

(٩) انظر: المسيو شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي ص (٢٣).

(١٠) انظر: عمر فروخ: التبشير والاستعمار ص (٦٧).

(١١) انظر: محمد الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ج . ص (١٩٢/١). دار الإصلاح بالسعودية. الطبعة الثالثة ٧٩.

(١٢) انظر: المسيو شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي ص (٤١).

(١٣) انظر: المرجع نفسه ص (٤٢)
(١٤) انظر: محمد الصواف: المخططات الاستعمارية ص (١٩٤).
(١٥) انظر: المسيو شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي ص (٢٩).
(١٦) انظر: المرجع نفسه.
(١٧) انظر: المرجع نفسه. ص (٧٤).
(١٨) انظر: المرجع السابق ص (٧٥).
(١٩) انظر: محمد الصواف: المخططات الاستعمارية ص (٢١٧)
(٢٠) انظر: عبدالله التل : جذور البلاء ص (٢٢٧).
(٢١) انظر: المرجع نفسه . ص (٢٢٨).
(٢٢) انظر: محمد محمد الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص (٥٨، ٥٩).
(٢٣) انظر: د. علي جريشة: أساليب الغزو الفكري ص (١٩).
(٢٤) انظر: د. السباعي : الاستشراق والمستشرقون ج . ص (٣٠/١) وما بعدها. المكتب الإسلامي. بيروت. سنة ١٩٧٩ م.
(٢٥) انظر: عباس العقاد: ما يقال عن الإسلام ص (٨)
(٢٦) انظر: د. أحمد شلبي: المجتمع الإسلامي. النهضة المصرية. ط ٤. ١٩٧٤ م ص (٢٧٩).
(٢٧) انظر: أ. أنور الجندي: الإسلام وسموم التغريب. ص (٣٧٠).
(٢٨) انظر: د. مصطفى السباعي: الاستشراق والمستشرقون. ص (٢٤).
(٢٩) انظر: المرجع نفسه ص (٢٦).
(٣٠) انظر: د . محمد البهي : الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٤٤). ط٢. القاهرة سنة ١٩٦٠ م.
(٣١) انظر: أ. أنور الجندي: الإسلام والثقافة العربية ص (١٠٦).
(٣٢) تاريخ الإمام محمد عبده. ج . ص (٤٠٩/٢).
(٣٣) انظر: محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق: ترجمة : د / عمر فروخ ص (٥٨).
(٣٤) انظر: المرجع السابق ص (٥٢ – ٥٤).
(٣٥) انظر: د . محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص (٣٨).
(٣٦) انظر: د / محمد البهي: الفكر الإسلامي. ص (١٩٠).
(٣٧) انظر: د / محمد محمدحسين مدين: الإسلام والحضارة الغربية ص (٥٢). مؤسسة الرسالة. ط ٦
(٣٨) المرجع نفسه
(٣٩) انظر: د / عبد الحليم محمود: أوروبا والإسلام ص(٨٧). دار المعارف. ط ٢. سنة ١٩٨٢ م.
(٤٠) انظر: د / أحمد شلبي: المجتمع الإسلامي. ص (٢٧٩).
(٤١) انظر: محمد حبيب: نهضة الشعوب الإسلامية. ص (١٦).
(٤٢) انظر: محمد الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص (١٢٩).
(٤٣) انظر: د / محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص (١٩٥).
(٤٤) انظر: محمد الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص (١٢٥).
(٤٥) انظر: لوثروب ستوارد: حاضر العالم الإسلامي. ترجمة: عجاج نويهض ج . ص(٨٠/٤).
(٤٦) انظر: المرجع نفسه. ص (٨٠).
(٤٧) انظر: د / محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص (٢٠٢).
(٤٨) انظر: المصدر نفسه ص (٢٠٩)
(٤٩) انظر: د / توفيق الطويل: قصة الاضطهاد الديني ص (١٧). ط ٢. مكتبة مصر.
(٥٠) انظر: لوثروب ستوارد: حاضر العالم الإسلامي ج. ص (٣٥١/٣).
(٥١) انظر: أ. أنور الجندي: العالم الإسلامي الاستعمار السياسي والثقافي ص (٤٦).
(٥٢) انظر: د / علي جريشة: أساليب الغزو الفكري ص (٤٧).
(٥٣) انظر: أ. محمد فريد: تاريخ الدولة العلمية العثمانية ص (٦٧). مصر ١٩١٢ م.
(٥٤) انظر: أ. محمد أسد: الإسلام على مفترق الطرق ص (٧٣).
(٥٥) انظر: المرجع السابق ص (٧٤).
(٥٦) انظر: المرجع السابق ص (٧٨).

(٥٧) انظر: د / محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية ص (٤٥).
(٥٨) انظر: أ. أنور الجندي: شبهات التغريب ص (١٧).

فهرس المصادر والمراجع

١) الاتجاهات المعاصرة في الفكر الإسلامي الحديث. د / عبد المقصود عبد الغني. دار الثقافة العربية – ١٩٨٨ م.
٢) أساليب الغزو الفكري. الدكتور/ علي جريشة. دار الاعتصام بالقاهرة. سنة ١٩٨٨ م.
٣) الاستشراق والمستشرقون. د. مصطفى السباعي. جـ ١. المكتب الإسلامي. بيروت. سنة ١٩٧٩ م.
٤) الإسلام على مفترق الطرق. محمد أسد. ترجمة : د / عمر فروخ . دار العلم للملايين . بيروت ١٩٨٧م.
٥) الإسلام والثقافة العربية. أ. أنور الجندي.
٦) الإسلام والحضارة الغربية. د / محمد محمدحسين مدين. ط ٦. مؤسسة الرسالة.
٧) الإسلام وسموم التغريب. أ. أنور الجندي.
٨) أوروبا والإسلام. د / عبد الحليم محمود. ط ٢. دار المعارف. سنة ١٩٨٢ م.
٩) تاريخ الإمام محمد عبده. جـ ٢.
١٠) تاريخ الدولة العلمية العثمانية. أ. محمد فريد. مصر ١٩١٢ م.
١١) التبشير والاستعمار. عمر فروخ. المكتبة العلمية . ط١ . بيروت ١٩٥٣م.
١٢) جذور البلاء . عبدالله التل . دار الإرشاد . ط١. بيروت ١٩٧١م.
١٣) حاضر العالم الإسلامي. لوثروب ستوارد. ترجمة: عجاج نويهض. جـ ٤. طبعة دار الفكر . لبنان ١٩٧٤م.
١٤) شبهات التغريب.أ/ أنور الجندي. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . القاهرة ١٩٦٤م.
١٥) العالم الإسلامي الاستعمار السياسي والثقافي. أ. أنور الجندي. دار المعارف . (د.ت) .
١٦) الغارة على العالم الإسلامي. المسيو شاتليه. ترجمة: محب الدين الخطيب.ط٢. الدار السعودية . جدة -١٣٨٧هـ.
١٧) الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي. د . محمد البهي. ط٢. القاهرة سنة ١٩٦٠ م.
١٨) القاموس المحيط . الفيروز آبادي . جـ٤. مؤسسة الحلبي وشركاه للنشر والتوزيع . القاهرة
١٩) قصة الاضطهاد الديني. د / توفيق الطويل. ط ٢. مكتبة مصر.
٢٠) ما يقال عن الإسلام.عباس العقاد.
٢١) المجتمع الإسلامي. د. أحمد شلبي. النهضة المصرية. ط ٤. ١٩٧٤ م.
٢٢) المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام. محمد الصواف. جـ١. ط٣. دار الإصلاح بالسعودية.
٢٣) المعجم الوسيط. جـ٢ . دار الكتاب اللبناني . بيروت ١٩٨٢م.
٢٤) نهضة الشعوب الإسلامية. محمد حبيب. دار النيل للباعة . القاهرة ١٩٥٤م.
٢٥) هموم الأمة الإسلامية. د / محمود حمدي زقزوق. الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٢٠٠١ م.